مصطفى أمين

□ مَواقفُ مع التوءَم
وشَريكة العُمْر

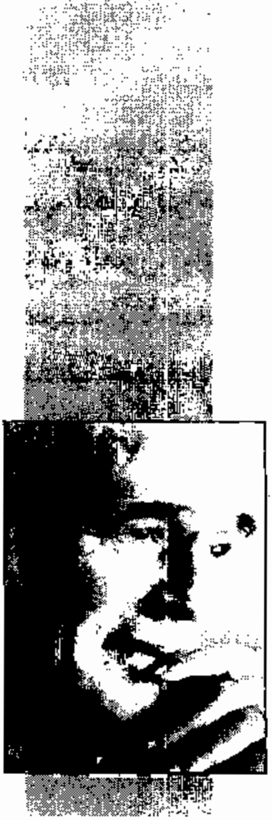

○ في ليلة عُرسي جلس توءَمي مكاني في «الكوشة»
○ عندما ضحك «علي أمين» على الوزير مدّعياً أنه «مصطفى»
○ كُنتُ كالنهر الهادئ، و«عليّ» كالبُركان الثائر
○ كان قلبي كعمارة عالية.. في كل شقة تسكن امرأة
○ نحن في حاجة إلى وزراء يستقيلون، وصحف تنشر الاستقالة

تملّكتني حيرة كبيرة، وأنا أراجع ملف صور، وسيرة، ومسيرة الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين»، وذلك بسبب هذا الكم الكبير من الصور، والذكريات التي تؤكد أن «مصطفى أمين» عاش حياة مليئة بالأحداث، وحافلة بالإنجازات، تلك الحياة التي ذاق خلالها حلاوة الانتصار، وتحقيق الآمال، ومرارة الانكسار، والآلام، لكني وبعد كثير من التأمل قررت أن أبدأ هذه الرحلة، وأتوقف عند محطات بذاتها ترسم ملامحَها صورٌ بعينها.

فرغم أحاديثي التليفزيونية، والصحفية الطويلة، والعديدة معه والتي تناولت كل تفاصيل مسيرته الصحفية، لم أشأ تناولها، واكتفيت بالوقوف عند محطات خاصة تتسم بلقطات إنسانية.

مَقالبُ التوْءَم

أولى هذه المحطات علاقته بتوءمه «على أمين».. في أحد لقاءاتي معه سألته: ما هي خصائص العلاقة مع التوءم؟ .. يومها قال لي: إن هذه العلاقة بدأت بيننا في بطن أمي، وقبل أن نرى نور الدنيا، ونواجهها معاً بمصاعبها.. لقد جمعنا رحم واحد تقاسمنا فيه المكان، والرزق، وهو ما استمر بعد خروجنا إلى الحياة حيث تشاركنا في مكان العيش وسبيل الرزق.. لقد تشابهنا في كل شيء حتى أنني لم أكن أعرف إن كنت «مصطفى» أم «علياً»، أما والدتي فقد كان الله في عونها حيث كان يصعب عليها أن تفرّق بيننا،

وأمام الكثير من المشــاكل، والمطبات التي وقعت فيها بسبب هذا التشــابه فقد لجأت إلى حيلة طريفة، وعجيبة حيث كانت تضع في يدي شريطاً أزرق، وفي يد «علي» شريطاً أحمر، وكان يحلو لنا أن نبدل الشرائط حتى يختلط عليها الأمر، وعندما سافر «علي» في الثلاثينات إلى إنجلترا للدراســة حيث قضى عامين، وعند عودته ذهبت لاستقباله في ميناء الإسكندرية، ومن هناك اتصلت بوالدتي أخبرها بأنني «علي» فبكت متأثرة لأنها حرمت سنتين كاملتين من الاستماع لهذا الصوت، فبادرتها ضاحكاً إنك تسمعين هذا الصوت كل يوم، فأنا «مصطفى» ولســت «علياً»، فلم تصدق وقالت: إنها تعرف صوتي جيداً.. وأخــيراً أعطيت سماعة التليفون لـ«علي»، فاكتشفت والدتي أنها كانت ضحية هذا المقلب.

والواقع أن هذه المقالب كنا نســتثمرها، ونســتفيد منها أحياناً خاصــة إذا مــا أوقعتنا الظروف في مواقف حرجــة؛ فعندما تزوج أخي «علي» كان كثيراً ما تفاجئه زوجته بمكالمات تليفونية طويلة، وكان يناولني سماعة التليفون إذا كان مشغولاً، وأتولى أنا استكمال المكالمــة دون أن تشــعر زوجته أن الذي يحدثهــا هو «مصطفى»، وليس زوجها «علي»..

وحدث عندما تزوجت للمرة الأولى أن طلبت زوجتي إقامة الفرح في فندق «شــيبرد» القديم، لكنني رفضت الفكرة خاصة الجلوس في «الكوشة» بينما كل الحاضرين يتفرجون عليّ، وأمام إصرار زوجتي وافقت مضطراً، ولم يمض على جلوسي في «الكوشة» أكثر من خمس

دقائق حتى أحسست أنني غير قادر على تحمل هذه «البهدلة»"، ليجيء توءمي، وينقذني بالجلوس مكاني حتى نهاية الفرح.

ويستمر «مصطفى أمين» في رواية تفاصيل جديدة عن المواقف الحرجة التي لجأ إليها التوءم للاستفادة من التشابه المذهل بينهما فيقول: كان شقيقي «علي» يعمل سكرتيراً خاصاً لوزير الأشغال «حسين سري» باشا، وحدث أن وصل «علي» متأخراً ساعة كاملة، وعند دخوله المصعد فوجئ بالوزير الذي كان حازماً في تعليماته، وبادره قائلاً: كيف تتأخر يا أفندي ساعة عن موعدك، وكيف تسمح لنفسك بركوب المصعد المخصص لكبار الموظفين، فصاح «علي» في وجه الوزير قائلاً: كيف تعاملني بهذه الطريقة، أنا «مصطفى أمين» رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة» ولست سكرتيرك.. فتراجع الوزير وقال لـ«علي»: يا أخي كنت باهزر معاك.. أنا أعرف جيداً أنك «مصطفى» ولست «علي»، يعني معقول مش حاعرف سكرتيري؟، وعندما دخل «حسين سري» باشا مكتبه طلب «علي أمين»، فدخل المكتب بعد أن استبدل كرافتته التي استعارها من أحد زملائه، فإذا بالوزير يقول له: أنا كنت أتصور أن أخوك «مصطفى أمين» ذكي وبيفهم النكتة.. تصور لم يفهم أنني كنت أداعبه في المصعد!.

ويروي «أنيس منصور» أنه لم يكن يستطيع أبداً التفرقة بين التوءم «مصطفى وعلي أمين»، فعندما انتقل للعمل معهما في أخبار اليوم عام ١٩٥٢ لم يكن يفرق بينهما إلا عندما

أُصيب «علي أمين» في عُنُقه، ووقتها عرف أيهما «مصطفى» وأيهما «علي»..

ويقول «أنيس منصور»: لقد عرفت أيضاً أن الذي يصافحني ويعانقني، وهو لا يعرفني فإنه «مصطفى»، وأن الذي لا يصافحني رغم أنه يعرفني فهو «علي».. ثم عرفت أن «مصطفى» على استعداد لأن يضحي بي من أجل خبر، وأن «علياً» على استعداد أن يضحي بالخبر من أجلي، كما عرفت أن «علي أمين» قد أدمن المستقبل، و«مصطفى أمين» قد أدمن الحاضر، ويضيف «أنيس منصور» أن «مصطفى أمين» قد ضحك علينا عندما تُوفي «علي أمين»، وقال إنه هو الذي مات، وفي اليوم التالي ظهرت مقالة فكرة، وكان التوقيع «مصطفى أمين».

وفي حوار تليفزيوني أجريته مع الكاتب الكبير الراحل «مصطفى أمين» سألته عن الفرق الإنساني، والمهني بينه، وبين توءمه.. فقال لي: إنها ليست فروقاً كثيرة، وعلى سبيل المثال فأنا أعصابي تحت جلدي، أما «علي» فكانت أعصابه فوق جلده.. كنت هادئاً وكان «علي» بركاناً يثور دائماً..

وعدت لأسأله: هل شعر أحدكما يوماً بالغيرة من الآخر.. فضحك «مصطفى أمين» وقال: وهل يمكن أن يغار الإنسان من نفسه؟ فقد كنا كفين.. فهل تغار الكف اليمنى من اليسرى؟.. كان كلانا يغار على أخيه، ولا يغار منه؛ أما التنافس الوحيد الذي كان بيننا، فكان في الصفحة الأخيرة.. كان يكتب كلمته وأكتب

كلمـــتي.. كان يفكر بعقلي، وكنت أفكـــر بعقله، وأحياناً يحدث بيننا خلافات لكنها تنتهي بعد خمس دقائق على الأكثر.

نساءٌ في حَياته

لأن «مصطفـــى أمـــين» كان نجمـــاً، وكاتباً كبـــيراً فقد تناولت الشـــائعات علاقاته مع العديد من النساء، وتجرَّأتُ يوماً، وسألته في أحـــد حواراتـــي معه عن كل ما يُشـــاع عن علاقاته النســـائية فضحك قائلاً: لأنني بشـــر مثل ســـائر البشر فقد عرفت في حياتي نســـاء كثـــيرات.. ســـيدات وغانيـــات.. نجمـــات ومجهولات.. مصريات وأجنبيات.. ثم أطلق ضحكة عالية وقال: لقد كان قلبي يشـــبه عمارة عالية مليئة بالشقق، وفي كل شقة تسكن امرأة حتى تعرَّفـــت على «إيزيس طنطاوي»، وأحببتها كثيراً فإذا بهذا الحب يحول كل النســـاء في حياتي إلى أشـــباح، فهي المرأة التي شعرت معهـــا بالأمان.. المرأة التي تؤمن بالقضية أكثر مما تؤمن بالرجل، فقد كان جمالها في شخصيتها القوية، وذكائها وحكمتها.

ويحكي «مصطفى أمين» قصة توطيد علاقته بابنة عمته «إيزيس طنطاوي»، ويقول: عندما جاءت لزيارتي في السجن، وكانت تعلم أنني محكوم عليّ بالأشـــغال الشـــاقة المؤبـــدة، وكان عمري وقتها ٥٥ عامـــاً، ومعنى ذلك أنه كان عليهـــا أن تنتظرني ربع قرن من الزمـــان لكي تتزوجني، وعمـــري ٨٠ عاماً.. ورغم ذلك اختارت، وهي شـــابة أن تحبني، وقد أحســـت بهذا الحـــب الصادق من

اللحظة الأولى، ولتصبح «إيزيس» هي الحقيقة الوحيدة في حياتي، وبحبها شعرت أنني أخذت من الحياة أضعاف ما أخذت مني.. ويستطرد الكاتب الكبير في حديثه عن زوجته «إيزيس» فيقول: إنها كانت تلعب دوراً مهماً في تهريب رسائلي من السجن، وتتولى بنفسها توزيعها لمن سيطيرون بها وراء الحدود، وكانت لها قدرة عجيبة وهي تقود سيارتها على الهرب من الذين كانوا يراقبونها، كانت تعلم أنها تخاطر بشبابها وحريتها، وتُعرِّض نفسها للسجن، والاعتقال من أجل رجل لن يخرج من السجن إلا بعد ٢٥ سنة، لكنها بحريتها اختارت أن تغامر.

سَنَواتُ السِّجْن

كثيراً ما تحدث الكاتب الراحل «مصطفى أمين» عن السنوات التسع التي أمضاها في السجن، كما أنه أصدر مجموعة من كتبه حمل كل منها تفاصيل سجنه سنة بعد أخرى. وقد سجلت أحاديث تليفزيونية استمرت أكثر من ثلاث ساعات عن دقائق حياته خلال تلك السنوات المؤلمة لكني أتوقف عند كلمات، وعبارات بعينها.. فعندما سألته: كم ليلة قضيتها في السجن؟، قال: لا أستطيع أن أقول لك.. إن ساعة ظلم واحدة طولها ألف سنة .. وسألته: ما هي الصداقة التي اكتسبتها في السجن قال: صداقتي مع زوجتي، قلت: وما هي أفضل هدية تلقيتها في السجن. قال: يوم أخبرني طبيب السجن بأن «أم كلثوم» ستقدم لي أغنيتها هدية، وكانت أغنية «الأطلال».

كَلِمَــات

وخلال تلــك الحوارات الطويلة كانــت للراحل الكبير كلمات حُفرت في وجداني:

- كل فشل علمني النجاح.
- نحــن في حاجــة إلى وزراء يسـتقيلون، وإلى صحــف تنشــر الاستقالة.
- الذين لم يُحبوا أبداً.. لم يعيشوا أبداً.
- الوزير الذكي هو الذي يعمل في وزارته، وكأنه سيخرج غداً.
- كل ضربة تلقيتها في ظهري دفعتني إلى الأمام.
- لا تقــترض من صديقك حتى لا تهــرب منه، ولا تقرضه حتى لا تضطره إلى الهرب منك.
- لو عاد الزمن لارتكبت نفس الأخطاء.

مع رفيقة العمر

مصطفى أمين طفلا

الكاتب الكبير يحدث المؤلف

فى الطريق
للسجن